رائعتان شعريتان جديـ

لك الحمدُ يا ربي

لـكَ الـحـمـدُ يـا ربـي لـكَ الـعـزُّ والـمـجـدُ ... عـلـى كـلِّ شـيءٍ فـي الـوجـودِ لـكَ الـحـمـدُ
مـن الـضِّـدُ لـلـرحـمـن ربـي وخـالـقـي ... إذا حـان مـيـعـادُ الـحـسـابِ مـن الـضِّـدُ
ومـا الـمَـدُّ إلاّ مـنـهُ جـوداً ورحـمـةً ... فـمـنْ جـودهِ الـجـودُ الـمضاعـفُ والـمَـدُ
لـهُ الـعـهـدُ مـنِّـي أنْ أوَحِّـدَ ذكـرهُ ... بـتـوحـيـدهِ مـا عـشـتُ قـدْ ثَـبَـتَ الـعـهـدُ
لـكَ الـحـمـدُ ربـيّ عـنْ كـتـابٍ ومـلّـةٍ ... بـهـا يـهـتـدي إنْ زاغَ عـنْ نَـهـجـهِ الـعَـبْـدُ
لـكَ الـحـمـدُ والـشُّـكْـرُ الـمضاعـفُ كُـلّـمـا ... بـدا شـارقٌ يـا مـنْ لـهُ الـحَـلُّ والـعَـقْـدُ
عـلـيـكَ رجـائـي واتِّـكـالـي ومـرجـعـي ... أبـوءُ بـذنـبـي حـيـنـمـا الأمـرُ يـشـتـدُ
فـلاَ تُـبـعـدنِّـي عـنـكَ يـا سـامـعَ الـدُعـا ... إلـيـكَ مـفَـرِّي مـنـكَ نَـحـوَكَ أرتَـدُّ
فـكـنْ لـي مُـجـيـراً أنـتَ حَـسـبـي ولـيـسَ لي ... سـوىَ بـابـكَ الـمـفـتـوح إنْ جَـهِـدَ الـجُـهـدُ
ومـا عـمـلـي إلاّ بـتـوحـيـدِ خـالـقـي ... كـفـانـي إيـمـانـي بـهِ وكـفـىَ الـحـمـدُ
ومـنْ يَـتَّـكـلْ يـلـقَ الـتَّـوَكُّـلَ عِـصـمَـة ... ومـنْ يـتـواكـلْ فـاتَـهُ الـخـيـرُ والـوَعـدُ

ابتهال محمد بن راشد آل مكتوم

«لك الحمدُ يا ربي» ثناء نهل من مِداد كوني لا ينفد

- جمعت فرادة النظم وعمق الأسلوب وانسيابية الشعر
- الحمدُ باب من أبواب الفضائل يحب ولوجه العارفون

قراءة – محمد بابا

في ابتهالية شعرية ربانية، زادها الحمد والثناء ونهلت من بحر الشكر لعطاءات نِعم الله، ومدادها الكوني الذي لا ينفد، جاءت يوم أمس ابتهالية «لك الحمدُ يا ربي»، لصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، وفق دالية شعرية، جمعت فرادة النظم، وعمق الأسلوب، وانسيابية الشعر، فكانت هذه الابتهالية الشعرية لؤلؤة فريدة، ضمن لآلئ ابتهاليات خاصة، جادت بها قريحة سموه الرمضانية، اتحفت سُمّاره، وصيادي الدرر الشعرية، وما يحفل به بحر القريض الزاخر من أفكار وخيال وتهويمات لا ساحل لها.

تناص شعري

وكما الشعر صوتُ الروح، والكلمات رسولها، حمل هذا النص الشعري، يقيناً راسخاً بعظمة الخالق، تجلت قدرته تعالى، ومنْ جوده الجودُ المضاعفُ والمَدُّ، كتب مطلعها، وفق توجه مباشر استدعى صفات من يستحق الحمد والثناء، بمدده ومداده يجود، فلا يدركُ له علو ولا شان، واختار رويها دالياً، فكان موفقاً في ذلك الإيقاع الذي يتركه هذا الحرف في حالة الضم، يستجيب له السامع فيسرح مع المعنى في ملكوت الله، وجاء تكرر الكلمات لتأكيد ذلك المعنى، مثل «لكَ الحمدُ..» و«لكَ العزُّ والمجدُ»، وفي تناص شعري تشبه قصيدة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد ابتهالية الشاعر شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري، التي يقول فيها:

إلهي عَلى كلِّ الأمورِ لكَ الحَمْدُ
فليس لما أوليت من نعمٍ حدُّ
لك الأمرُ من قبل الزمانِ وبعده
ومالكَ قبلٌ كالزمانِ ولا بعدُ

بديع التجانس

يوظف في ثنائه حمولات عديدة، ومن ذلك هذا البيت، الذي وظف الآية القرآنية في سورة الكهف:«قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً»، ويقتبس من بلاغة القرآن في صورها وبديع تجانس ألفاظها، مثل ما ورد في كلمتي «مداد» و«مدد»، حيث تعني الأولى السائل الذي يُكتب به ويقال له حِبر، وتعني الثانية العون والغَوْث، ويقول صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد في «لك الحمدُ يا ربي»:

وما المَدُّ إلاّ منهُ جوداً ورحمةً
فمنْ جوده الجودُ المضاعفُ والمَدُّ

في الحمد والثناء العديد من القصائد الشعرية، لأنها باب من أبواب الفضائل التي يحب ولوجه العارفون، لما فيها من فضل وخير، ووعد بالزيادة الربانية المضمونة، فالشكر خصلة فريدة من خصال الأنبياء والصالحين على مر الدهور، يجدون فيها سعة من الله، على نعمه التي أسبغها ظاهرة وباطنة على عباده، فحق له الشكر والحمد، كما من فضل هذا الباب ترغيبه، جلت وحدانيته للشاكرين، فالله يحب الشاكرين، ويحب المتدثرين بالثناء، ومن ما يأتي به المقام في هذا الباب أبيات للإمام والخليفة الراشد علي بن أبي طالب، يقول فيها:

لك الحمد يا ذا الجود والمجد والعلا
تباركت تعطي من تشاء وتمنع
إلهي وخلاقي وحرزي وموئلي
إليك لدى الإعسار واليسر أفزع
إلهي لئن جلت وجمّت خطيئتي
فعفوك عن ذنبي أجل وأوسع

منهاج قويم

في رحاب ملكوت الله وعليائه، يختار سموه في ابتهاليته صنوف الصور، التي تمد حبال الوصل مع الله، يثبت العهد وفق منهاج قويم، هو الكتاب البين والملة الغراء، والتي يهتدي بها الناس إذا زاغوا عن درب الحق السديد:

لهُ العهدُ منِّي أنْ أوَحِّدَ ذكرهُ
بتوحيده ما عشتُ قدْ ثَبَتَ العهدُ
لكَ الحمدُ ربيّ عنْ كتابٍ وملّة
بها يهتدي إنْ زاغَ عنْ نَهجهِ العَبْدُ

وحدة موضوعية

وفي استخدامه لكلمة «زاغ» براعة واستحضار شعري، في تقديم الصورة المناسبة في سياقها ومكانها، وهي أيضاً من المعين القرآني المبارك وبلاغته الخالدة، ووظفت دوماً في آياته للدلالة على نفس المعنى، حيث البعد عن طريق الهداية والرشاد. كما عزز سموه في الأبيات اللاحقة بناءه الأساسي ووحدة القصيدة الموضوعية، فجاء توارد الخواطر والأفكار ليدعم فكرة الثناء والحمد، التي تتكرر وفق متوالية انبنى عليها النص:

لكَ الحمدُ والشُّكْرُ المضاعفُ كُلّما
بدا شارقٌ يا منْ لهُ الحَلُّ والعَقْدُ
عليكَ رجائي واتِّكالي ومرجعي
أبوءُ بذنبي حينما الأمرُ يشتدُ

فهو الله ومن علا عنِ الوصف، جل جلاله ومن لا شيءَ يدركُه، كما جاء في قصيدة الشاعر لسان الدين بن الخطيب، التي يقول فيها:

الحمدُ لله مَوْصُولا كما وجبا
فهو الذي برداء العِزّة احْتَجَبا
الباطن الظّاهر الحق الذي عَجَزَتْ
عنه المدارِكُ لما أمْعَنَتْ طَلَبا

متانة السبك

والقارئ لقصيدة «لك الحمدُ يا ربي» يدرك ما لهذه الابتهالية من متانة في السبك، ورشاقة في الأسلوب، انتهجت خاصية ابتهاليات الحمد، التي خطها أساطين هذا الفن، ويحفل به من رجاء بين يدي الله وتلذذ بمناجاته وشكره، وهذا الشاعر عبد الرحمن البرعي، الذي ترك تراثه الشعري مقطوعات وقصائد من أجمل وأعذب الأشعار في فن الابتهالات يقول في إحدى قصائده:

لكَ الحمدُ حمداً نستلذُّ به ذكراً
وإن كنتُ لا أحصي ثناءً ولا شكرا
لكَ الحمدُ حمداً أطيباً يملا السما
وأقطارها والأرضَ والبرّ والبحرا

وهذا صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، كما عودنا في أشعاره عموماً وفي ابتهالاته الرمضانية شاعراً أريباً قريباً، يختار من الألفاظ أجملها ومن الأفكار أبهاها، تحركه أحاسيسه الشعرية المرهفة وفطرته الإيمانية العميقة، يقف بها عند باب الله، وكفى به وكيلاً:

فلاَ تُبعدنِّي عنكَ يا سامعَ الدُعا
إليكَ مفَرِّي منكَ نَحوَكَ أرتَدُّ
فكنْ لي مُجيراً أنتَ حَسبي وليسَ لي
سوىَ بابكَ المفتوح إنْ جَهِدَ الجُهدُ
وما عملي إلاّ بتوحيد خالقي
كفاني إيماني بهِ وكفىَ الحمدُ
ومنْ يَتّكلْ يلقَ التَّوَكُّلَ عِصمَة
ومنْ يتواكلْ فاتَهُ الخيرُ والوَعدُ

ـــــدتان لمحمد بن راشد

وحقِّكَ

وحَـقِّـكَ إستَـحَـقّ لـكَ الـسُّـجـودُ
ومِـنـكَ الـجـودُ يَـعـبُـدُكَ الـوُجـودُ
وحَـقِّـكَ مـا لـمُـلـكَ مـنْ شَـريـك
لـكَ الـتَّـوْحـيـدُ وَحـدُكَ يـا وَدودُ
وحَـقِّـكَ أنـتَ غَـفّـارُ الـخطايا
وعَـفـوُكَ مـا لَـهُ أبَـداً حُـدودُ
شَـهـدنـا أنّـكَ الـصّـمَـدُ الـمُـزَكّـى
بـمـا شَـهـدَتْ مـلائـكُـكَ الـشُّـهـودُ
عِـبـادُكَ نـحـنُ فـأنـظـرْ يـا إلـهـي
بـرحـمـتـكَ الـعـظـيـمةِ إنّ تَـجـودُ
بـحـمـدكَ تـلـهـجُ الأصـواتُ شُـكـراً
وقـدْ غـرِقَـتْ مـنَ الـدّمـع الـخـدودُ
وتُـعـطـي الـسـائـلـيـنَ بـغـيـرِ حَـدٍّ
ولـوْ كَـثُـرَتْ بـبـابـكَـمُ الـوُفـودُ
إلـهـي أنـتَ وَحـدَكَ لا شَـريـكُ
إلـيـكَ إذا دَهـيَ خـطَـرٌ نَـعـودُ
كـتـابُـكَ لـي دلـيـلٌ أقـتَـديـهِ
إلـيـهِ الـوِرْدُ إنْ وَجَـبَ الـوُرودُ
ومُـلـكُـكَ دائـمٌ لا يـعـتـريـهِ
زوالٌ حُـقّ لـلـمُـلْـكِ الـخُـلـودُ
وأنـتَ الـلـهُ مـا لـكَ مـنْ شّبيهِ
ومـنْ وافـاكَ وافـاهُ الـسُّـعـودُ

ابتهال «وحقك».. محور التوحيد وصحيح العقيدة

قراءة: د. محمد سبيل

بادر صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بتقديم ابتهالاته الرمضانية التي نحن الآن بصددها، ليفتح بذلك الباب واسعاً أمام فنون تعظيم الله تعالى في قلوب عباده، فسموه يشكل القدوة والداعية إلى تعظيم الخالق في قلوب الناس بمناجاته وإظهار آلائه ونعمه، لأنه إذا عظم الله تعالى في قلوبنا حقاً فسنستحيي من أن نعصاه لأننا حينئذ عرفناه فقدرناه حق قدره، وإن ابتهالات محمد بن راشد الرمضانية هذه تسعى هذا المسعى، إذ لا يمكن أن نعرف الله ونحبه، ومع ذلك نقتل الأبرياء ونشردهم من ديارهم ونقهر الآمنين خروجاً على ولي الأمر وإجماع الأمة وسلمها وسلامتها.

تجربة فريدة

ومما لا ريب فيه أن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بما قدمه من سلسلة الابتهالات الأخيرة قد شغل الوسط الثقافي والدعوي، رغم انشغالهم برمضان المحتشد بالعمل الصالح وبنور الإيمان، وهو إذ يفعل فإنه قد بادر إلى إحياء فن وثقافة أخذت في التواري، وبات واقعنا الراهن يعوزها، ألا وهي ثقافة المسلم المؤمن الشكور الذاكر لأنعم ربه، وهي ثقافة بتنا نحنّ إليها ونتحسر على ضياعها، بعد أن هيمنت ثقافة المصالح المادية والاصطراع على الدنيا، حتى هيمنت الروح الفردية المقصية للآخر بوصفه منافسا، بينما قيم الإسلام تتقدمها الرحمة والتواضع لله ولعباده حسن الخلق.. إلى آخر قائمة مكارم الأخلاق تتوارى وتضمحل.

لسان الحال

نهج محمد بن راشد يستنهض تلك القيم الإيمانية من جديد، ولعل من علامات الفطنة الظاهرة التي تميز مشروعه الإحيائي هذا أسلوب الدعوة بلسان الحال، فذلك من أوفر الأساليب حظا في النجاح وبلوغ قلوب المدعوين. ومن نافلة القول أن نشير إلى أن جل الشعوب التي دعيت إلى الإسلام سلماً استجابت لما رأت من القدوة والمثال الأخلاقي الحسن متجسدا أمام أعينهم من خلال سلوك التجار المسلمين والدعاة والفاتحين في كل بقاع الدنيا، فكانت الممارسة العملية خير دعوة ودعاية للإسلام الوسطي المحبب.

وسموه حين يطلق في رمضان المبارك هذا ابتهالاته التي تعظم رب العالمين على أوسع نطاق وعبر وسائل التواصل الاجتماعي، فلابد أن المقصود منها ليس مجرد التعبير عن خلجات النفس والوجدان في صورة مناجاة بين المرء وربه، فلابد أن الهدف هو تقديم الأنموذج الذي يقتدي به شعبه وأمته، فتلك صورة من صور الدعوة إلى الله تعالى وهذا ليس بغريب على سموه، حيث درج على نهج

- **الثناء على الله ضرورة لتقوية الإيمان وتليين القلوب القاسية**
- **الطريق إلى نموذج المسلم المتوازن يبدأ بتعظيم الله في القلوب**
- **ابتهالات أيقظت فضيلة الثناء لمن يلتقط حبل الله المتين**
- **على إيقاع الوافر ينسج الشاعر قصيدته بإتقان**

الحث على تبني تعاليم الإسلام في كل رمضان وفي غير رمضان على مدى الأعوام، وهذه منقبة قلما نجد نظيراً لها في زمان الناس هذا. ولذلك حري أن يقتدي به شعبه وأمته من المحيط إلى الخليج.

رقاع دعوة

من مظاهر منهج صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم الإصلاحي أنه يقدم صيغة الابتهالات الشعرية الدينية رقاع دعوة للقراء حتى يتأثروا بمضامينها فيستقيموا، كما يقدمها كذلك مثالاً إبداعياً يحتذى به من جانب الشعراء، على نحو ما قدم سابقا من نماذج في مكارم الأخلاق الوطنية جاراه خلالها فحول شعراء النبط والفصحى محليا وخليجيا. ولكنه في هذه المرة يربط الغرض الشعري بالله تعالى وحده.

الطريق إلى ذلك النموذج يبدأ بتعظيم الله في القلوب تمهيدا لمحبته ومحبة عباده وخلقه، الأمر الذي شجع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان خير من امتدح صفات الله وحمده. ومن هنا تعظم أهمية مشروع الثناء على الله من خلال التعبير الجمالي، شعراً ونثراً.

في ابتهال اليوم الموسوم بـ«وحقك» نجد أن صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد يبدأ بالقسم، بدليل واو القسم التي استهل بها النص «وحقِّك» فهو يقسم بحق الله عز وجل، أنه سبحانه وتعالى يستحق السجود، ولأنه وحده مالك الملك فلا يستحق السجود سواه.

وهكذا نلمس أنه ومن خلال إيقاع بحر الوافر (مفاعلتنْ، مفاعلتنْ، مفعولُ) ينسج الشاعر بإتقان قصيدة جديدة في إطار الثناء على الله عز وجل كغرض شعري التزمت به ابتهالاته الأخيرة جميعاً، ولكن الذي يميز ابتهال «وحقك» تركيزه على ثيمة التوحيد، حيث أكد عليها في أبيات أربعة من بين أحد عشر بيتاً تمتدح عظمة الله تعالى وتعدد آلاءه وتعظم شأنه وتعلن خضوع عبده ومحبته له.

فقد قال سموه في الاحتفاء بصحيح العقيدة والتوحيد:

وحقِّك ما لملكك من شريك
لك التوحيد وحدك يا ودودُ

وقال في موضع آخر:

شهدنا أنك الصمد المزكى
بما شهدت ملائكك الشهودُ

وقال:

إلهي أنت وحدك لا شريك
إليك إذا دهى خطر نعودُ

وأخيراً يعزز الشاعر ثيمة التوحيد كمحور يدور حوله النص فيقول:

وأنت الله ما لك من شبيه
ومن وافاك وافاه السعودُ

ويبدو أن المحسنات البديعية، سمة جمالية وبلاغية عامة تزين الخطاب الشعري لصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، وبأشكالها المختلفة ومن تلك الأشكال، الجناس والطباق والمقابلة والتورية الخ

ونستطيع أن نستشهد على ذلك بقوله في ابتهال وحقك:

«وحقك استحق» وقوله أيضاً «الجود ـ الوجود» وقوله «التوحيد وحدك» وغير ذلك كثير من علامات التمكن اللغوي وتطويع المفردات بما توفر لدى الشاعر من قاموس غني ووافر كالبحر الذي نسج على إيقاعه قصيدته.

على أن إعلان العبودية والخضوع لله عز وجل وحده يعد من سمات هذه الابتهالات الرمضانية الأخيرة قاطبة، إذ يتم الإعلان عن ذلك بأسلوب جميل وماتع فنياً.

على أن أكثر ما يلفت النظر في ابتهال «وحقك» قول سموه:

(ومنك الجود يعبدك الوجود)

على أن أقرب تأويل له هو أن من جود ربنا تبارك وتعالى علينا أنه منّ علينا وأكرمنا بأن نعبده، وهذا معنى جديد غير مطروق، فالمطروق دائماً هو أن شكر الله وحمده نعمة من نعمه، أما اعتبار عبادته نعمة منحنا إياها بجوده وكرمه فهذه التفاتة جديدة على الشعر على الأقل كيف لا وعبادة الله شرف اختص به عباده المؤمنين.